المؤتمر الدولي الثاني اللغة العربية في خطر، الجميع شركاء في حمايتها
7 – 10 مايو 2013 دبي 27 – 30 جمادي الأولى 1434 هـ

مساهمة علماء بلاد هوسا في حماية اللغة العربية ونشرها في غرب إفريقيا

إعداد:

الدكتور محمد الرابع أول سعد،

جامعة بَايَرُوْ، كَنُوْ، نِيجِيرِيَا

CONTRIBUTION OF HAUSA SCHOLARS TO ARABIC LANGUAGE

2nd International Conference of Arabic Language Dubai 2013

By:
Dr. Muhammad Rabi'u A. Sa'ad,
GSM +2348033533925
Bayero University, Kano P. M. B. 3011 Kano Nigeria
E. mail; murasad@yahoo.com, rabiusaad@gmail.com

مساهمة علماء بلاد هوسا في حماية اللغة العربية ونشرها في غرب إفريقيا

التمهيد

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء حول مساهمة علماء بلاد الهوسا ودورهم في حماية اللغة العربية و نشرها بمنطقة غرب إفريقيا.

فهذا العنوان لواسع جدًا لا يمكن لورقة كهذه أن تحيط به ولو بأكثره. وعليه فقد حاول الباحث الوقوف على التعريف الموجز لكلمة الهوسا لغة و شعبا و موقعا, و ذكر ملخص تاريخ اللغة العربية في المنطقة. ثم بيان نماذج من مساهمات علماء بلاد الهوسا في الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها ونشرها قديما. مثل تعلم وتعليم اللغة العربية، إنشاء حلق و معاهد تعليم اللغة العربية، التأليف باللغة العربية، التأليف في العلوم العربية و مباحثها، (من لغة و نحو وصرف وعروض وغيرها). اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية و لغة الثقافة في البلاد, إيجاد المادة العلمية الجاهزة للباحثين في اللغة العربية، اقتراض الكلمات العربية في لغة الهوسا، استخدام الحرف العربي لكتابة لغة الهوسا بالمنطقة، تعريب بعض الإنتاج الأدبي الهوسوي المنظوم والمنثور، تأسيس المدارس النظامية الحديثة الأهلية التي أنتجت مثيلاتها الحكومية التي تطورت إلى تأسيس المؤسسات العلمية العربية في مختلف المراحل إلى مرحلة الجامعات وحتى مستوى الدراسات العليا، وغير. ثم تدبيج البحث بالخاتمة.

الهوسا لغة وشعبا ومنطقة

فكلمة هوسا أو الحوسا أو الحوصا، والصحيح الأول، لفظ يطلق على الشعب واللغة التي يتكلم بها ذلك الشعب، وكذا على المنطقة التي يسكن بها هذا الشعب. وقبائل الهوسا: هم الجماعة الذين انحدروا أصلا

وتاريخيا من منطقة بلاد الهوسا واستقروا بها، أو نزحوا منها وسكنوا بلدانا أخرى وحافظوا على لغتهم وثقافاتهم. والموقع الجغرافي لأكبر تجمعهم هو: البلاد الواقعة في غرب ووسط الحدود الشمالية التي تميل إلى الشرق لدول غربي إفريقا حديثا. وهذا التجمع الكبير للموقع, قد قسمته الحدود السياسية الجغرافية الاستعمارية. فكان القسم الأول –وهو الأكبر– يشغل أكثر بلاد شمال نيجيريا، والقسم الثاني في وسط الحدود الجنوبية لدولة النيجر (Niger Republic) متصلا بالقسم الأول.

ومع أن هذا هو موقع شعب الهوسا؛ إلا أن هناك تجمعات هوسوية كبيرة في مختلف بلدان قارة إفريقيا[1]، وخاصة في دولة غانا وجمهورية السودان، وتشاد Tchad، والكاميرون، وتُوغُو وبِنِين(Benin Republic) وغيرها. وقد انتشروا لعامل التجارة أو الرحلة إلى الحج أو لطلب العلم أولنشر الإسلام، خاصة أثناء حركة التجديد الإصلاحي الإسلامي التي قادها الزعيم الشيخ عثمان بن فُودِيُو في القرن الثامن عشر الميلادي 1804م[2]. فاستقر بعضهم هناك وأنشأوا أحياء ومدنا بهذه الدول والبلدان.

أولية اللغة العربية في مناطق الهوسا نيجيريا:

وصلت اللغة العربية إلى الأراضي التي تسمى الآن نيجيريا منذ عهد قديم، وذلك قبل دخول الإسلام[3]. وتمت أولية اللغة العربية في المنطقة عن طريق وراثة العرب للتجارة الصامتة القديمة التي يزاولها أهل منطقة جنوب الصحراء الكبرى مع الفينيقيين ثم مع الرومان الذين يعبرون شمال إفريقيا والصحراء الكبرى إلى مراكز التجارة الصامتة ببلاد السودان الغربي (منطقة غربي أفريقيا حديثا) مثل: مناجم الذهب في كُمْبِي صالح Kumbi Sale عاصمة امبراطورية غانا القديمة، و تِمْبُكْتُو، و غَاوْ Gao (في جمهورية مالي) وأغديس Agadez (في النيجر) وكَتْسِينَا وكنو وانتهاء إلى كانم برنو (في شمال نيجيريا) و دار فور.

لما توارث العربُ هذه التجارة ثم جاء الإسلام إلى مصر و المغرب العربي؛ أوصله هؤلاء التجار العرب إلى مناطق غربي إفريقيا والتي منها نيجيريا. وبطبيعة الحال فالتجارة تحتاج إلى لغة التفاهم، والتجار العرب يتفاهمون باللغة العربية ويستخدمون بعض مفردات اللغات المحلية. وأهالي المنطقة أيضا صاروا يلتقطون بعض الكلمات العربية وعباراتها في تعاملهم التجاري والاجتماعي. ثم بانتشار الإسلام، بدأ انتشار اللغة العربية بالتعلم وباستخدامها على نطاق أوسع. ومن أوائل

هذا الاستخدام، التفاهم بالمفردات ثم العبارات نحو: تجارة، سرج [سِرْدِ] ماشاء الله، تبارك الله، في سبيل الله. وكذا عبارات التحايا والأيمان؛ السلام عليكم، والله، بالله. وكذا قد استخدم الهوسا ألفاظ العقود العربية من عشرين إلى تسعين (20 _ 90) كما يستخدمها العرب لفظا و معنى[4]. واستخدم الهوسا أسماء أيام الأسبوع السبعة من الجمعة إلى الخميس، بالألفاظ العربية وهذا الاستخدام ساري إلى يومنا هذا.

ثم تطورت الحالة واستخدمت العربية كلغة تواصل في بعض الأعمال الرسمية والشعائر التعبدية والمناسبات الاجتماعية كخُطْبَة الجُمَع، وخطب عقد القران أو الولادة. ومن مظاهر كون اللغة العربية لغة تواصل.

إجراء التخاطب والتفاهم بها فيما بين بعض العلماء وطلاب العلم، بالمراسلات والمكاتبات وبكتابة الهواشي والتعليقات بها بجانب الكتب المدروسة. كما استخدمها بعض الأسر التي اشتهرت بالعلم والدين في التواصل الأسري، كأسرة وزير سوكوتو محمد البخاري وغيرها. قال أحمد دياب في ذلك: "بلغت العربية حدا يفوق الوصف، بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين بعض قبائل القارة السوداء، وهي إلى ذلك لغة الشريعة المكتوبة. وهذا تقدم هائل للحضارة الإفريقية" (دياب ص 62/ 1981)

إنشاء كتاتيب ودهاليز ومعاهد علمية:

بعد انتشار الإسلام في المنطقة، بدأ العلماء يفدون إلى المنطقة، وانتشر التعلم و الدين الإسلامي. حيث فتح العلماء الوافدون إلى بلاد الهوسا أبوابهم لطلبة العلم فيدرسون عليهم مبادئ اللغة العربية والثقافة الإسلامية. وذلك مثل الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني نزيل كنو وأسس بها معهده في حي زَاغِي، والشيخ عبد السلام الثقة. وبعض العلماء الشناقطة المارين إلى الحج، حيث يمرون بمدن هوسا وقد ينزلون بها في كثير من الأحيان، مثل الشيخ أحمد بن محمد الشنقيطي نزل صكتو بعد وفاة ابن فودي[5]. و تم تأسيس مثل هذه المعاهد العلمية و حلق التعليم في غالبية مدن هوسا كلها. مثل معاهد كَنُوْ ومعاهد كَتْسِينَا ومعاهد عِنْ دُوْتُوْ، و

معاهد زاريا، و معاهد سُكَّوْتُوْ و معاهد غُونْدُو، وغيرها.

وطبيعة هذه المعاهد الدهليزية عبارة عن حجرة جلوس الشيخ في بيته، قد تكون كبيرة أو صغيرة، وقد تكون مفروشة أو على الأقل مجلس الشيخ يكون مفروشا هذا في السابق، وهي أيضا مكان استقبال ضيوف الشيخ وقد يكون المعهد مجلسا أو حلقة تعليم في المسجد. وقد أفاد علي أبوبكر بأن الشيخ الذي يلقي الدروس يكفيه الثقة بنفسه في المواد التي يدرسها أو بطلب من طلاب العلمفي تعليمهم. "وينقسم هؤلاء الشيوخ إلى قسمين: متفنين و متخصصين. والتفنن هو أن يجمع العالم بين علم أصول الدين والشريعة واللغة، و أما التخصص هو مقدرته على تدريس واحد من الأقسام الثلاثة" أو أن يشتغل بتدريس هذا الفن ويشتهر به أكثر ويغلب عليه الطلبة في تعلم هذا الفن. كما اشتهر علماء حي مَدَابُوْ كنو بالتخصص في تدريس الفقه المالكي خاصة مختصر خليل بن إسحاق. واشتهر علماء كبرا بتفسير القرآن وعلماء زارِيا باللغة. ومن هذا المنطلق أوجد التاريخ مدارس علمية وتخصصية بمختلف بلاد الهوسا، ذكر الشيخ محمد الناصر كَبَرَا –رحمه الله– بعض المدراس النحوية واللغوية في مقالته (النحو والنحاة في نيجيريا) التي ألقاها بقسم اللغة العربية جامعة بايرو، كنو نيجيريا في 1987، مثل مدرسة كنو النحوية، ومدرسة أغدس، ومدرسة غَونْدُو. و هذه المعاهد وحلق العلم و الكتاتيب والدهاليز موجودة بكثرة في كل بلاد الهوسا، وهي التي ساهمت كثيرا في نشر تعليم اللغة العربية و لا تزال تلعب هذا الدور. يقول الشيخ عبد الله فوديو في بيان كثرة المدارس ببلاد الهوسا[6]؛

ومدارس أضْنىَ بِحُب شهودِها * فيها نَجاح حَوائِج المتَحَوِّج

وجَحاجِح* العلماء يُجْلَب رفدُهم * كل كبحر في العطا مُتموِّج[7]

وقال شيخو سعيد: "فقد فتح العلماء أبوابهم على مصاريعها لتدريس الدين واللغة العربية. فإذا كانت تلك سياسة الحكومة، فلا بد إذن أن تتطور اللغة العربية في تلك الفترة. وهذا ما حدث حتى أصبحت هذه فترة النهضة بالنسبة للغة العربية والتعليم الديني"[8]. ويدل على تشجيع تعليم العربية ونشرها؛ كثرة الإنتاجات باللغة العربية من مختلف رواد الحركات العلمية في المنطقة، والتي تعد بالمئات إذا لم تكمن بالآلاف.

تعلم العربية اللغة العربية وتعليمها

و إذ كان الدين الإسلامي يشجع على تعلم اللغة العربية لفهم تعاليمه والقيام ببعض الشعائر التعبدية يكون بها؛ بدأ يتوسع نطاق تعلم اللغة العربية واستخدامها. فمن هذا المنطلق كانت اللغة العربية تستخدم وتدرس وتتعلم في المدارس والحلق والمعاهد و غيرها.

والمنهج المتبع قديما في تعلم اللغة العربية و تعليمها و دراستها في بيئة بلاد هوسا، هو دراسة الكتب الدينية بالعربية أولا ثم تعلم اللغة ثانيا. والكتب المدروسة في اللغة هي مقامات الحريري والشعراء الستة، ثم القاموس المحيط. وأما في النحو فيبدأ الطالب بكتاب الآجرومية، وملحة الإعراب، ثم قطر الندى، وشذور الذهب، وألفية ابن مالك وشروحها. ثم قام بعض حاملي ألوية حركة الإصلاح التجديدي الإسلامي في بلاد الهوسا بنظم بعض هذه الكتب شعرا، أو وضع الشرح أوالتعليق عليها. و لما تضلع بعض أهالي المنطقة في العلوم، وصل الأمر إلى مرحلة التأليف في مختلف فنون اللغة العربية وعلومها.

وفي العصر الحديث بعد تأسيس المدارس العربية النظامية الأهلية والحكومية، كانت اللغة العربية تتعلم وتدرس من روضات الأطفال والإبتدئيات والإعدادية والثانويات والمعاهد إلى مستويات التخصصات الجامعية المتعددة (الليسانس، الدبلوم العالي، الماجستير، الدكتوراه الخ). وتتم الدراسة باللغة العربية في مختلف الفنون والمعارف والتخصصات العربية القديمة والحديثة. قال الشيخ أحمد: " وبما أن اللغة العربية هي لغة الثقافة، فلا بد إذن أن تهتم بها الحكومة، وتثقف أبنائها بها. وقد قامت بذلك خير قيام. فقد فتح العلماء أبوابهم على مصاريعها لتدريس الدين واللغة العربية... فإذا كانت تلك سياسة الحكومة، فلا بد إذن أن تتطورت اللغة العربية". (غلادنثي1993/62)

و من ناحية المنهج تم استخدام مقرارت المدارس النظامية في البلاد العربية، مثل مقررات معاهد جامعة الأزهر و مقرر مدارس جمهورية السودان وأخيرا بعض مقررات دول الخليج. ثم تطور الأمر إلى وضع مناهج وطنية و تأليف كتب مدرسية من المواطنين و من بعض المؤسسات العلمية.

ككتاب: القراءة العربية الجديدة في نيجيريا، في 4 أجزاء للمستوى الابتدئي، إعداد معهد التربية جامعة أحمد بِيلُّوْ، زَارِيَا، وكتاب العربية الجديدة في نيجيريا في 3 أجزاء (كتاب الطالب و مرشد المعلم) بتعاون من جامعة إبادَنْ، العربية الميسرة لجديدة 2002 في ستة أجزاء للمستوى الاعدادي و الثانوي. تأليف نخبة من أساتذة قسم اللغة العربية جامعة بايرو.

- **تأليف كتب الثقافة باللغة العربية:**

وهو استعمال اللغة العربية لتأليف مؤلفات في مختلف العلوم. فقد استخدم علماء هوسا اللغة العربية لتأليف الكتب العلمية و الثقافية العديدة. منها على سبيل المثال كتاب: تاج الدين فيما يجب على الملوك، ألفه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (1494) بطلب من أمير كنو محمد رُمْفا للاستفادة به في سياسة الرعية[9]. وكتاب عطية المعطي للشيخ عبد الله بن عبد السلام الثقة الفُلاني الكشناوي، وهي منظومة في المواعظ، في 1000 بيتا. ألفت في القرن 17م. وكتاب الشيخ عبد الله طَنْ مَرِنَا (الصباغ) الكشناوي النفحات العنبرية بشرح عشرينيات الشيخ الفازازي، المشهور في مدح الرسولJ. و مفتاح التفسير، وهو منظومة تزيد على 700 بيتا، وكتاب الفرائد الجليلة، وهو منظوم في 500 بيتا، في علوم القرآن أيضا كلاهما للشيخ عبد الله بن فوديو. وله كتابان في التفسير: ضياء التأويل في معاني التنزيل في مجلدين وكفاية ضعفاء بلاد السودان في بيان معاني القرآن. وله في علوم الحديث كتاب سراج الجامع، في نظم الجامع الصحيح للبخاري. وقد ألف في الفقه والسياسة والقضاء والطب وغير ذلك. وألف المجدد الشيخ عثمان بن فودي كتبا منها، إحياء السنة و إخماد البدعة، أصول العدل لولاة الأمور. ولمحمد بيللو بن الشيخ عثمان كتب منها، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور.

ومن الإسهاماتما قامت به المرأة في قرض قصائد عربية نظمتها مثل قصيدة السيدة الرقية الفلانية في المواعظ التي مطلعها:

الكريم يقبل ** تائبا أتاه

لا يخاف بخسا **كل من رجاه

بالعذاب يجزى** من عصى ويحي
لا ينال عزا ** من اتبع هواه
تب لعل ترحم **يا أُخَيّ واعلم
أن في جهنم ** سجن من عصاه[10]

و لخنساء بلاد هوسا أشعار وكتابان باللغة العربية؛ وهي السيدة أسماء بنت الشيخ عثمان فُودِي ألفت كتابين تنبيه الغافلين وتذكير العاقلين إلى طريق الصالحين سنة: 1820م و الثاني، تبشير الإخوان في التوسل بسور القرآن عند الخالق المنان" ألفته 1839م[11] وهذا له دور كبير وفعّال في إحياءِ اللغة وصيانتها ونشرها ومظهر لتطورها.

إنتاج مؤلفات في علوم اللغة العربية بمختلف فنونها:

ومن إسهاماتهم في صيانة اللغة ونشرها تأليف كتب في علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والعروض واللغة، والرسائل الديوانية وغيرها. ومنها ما يلي:

- **لمع البرق**: ألف عام (1232هـ – 1817م). في النحو. للشيخ عبد الله بن فودي.
- **البحر المحيط**: ألف عام (1237هـ) للشيخ عبد الله بن فوديو. والكتاب ؛ يحتوي على أكثر من أربعة آلاف وأربع مائة بيت (4400) في النحو، من أبياته:

الحمد لله على تسهيلِ * فتحِ الأعادي المغْني النَّبِيل
بالكسر والخفض وجر الهون * والجزم فِيهِم لازم السكون
ورفع أهل ملةِ الإسلام * على سواهم آخر الأيام
بنصبِ رايَةِ المُجاهِدِين * وضَمّ شمْلِهم فشادوا الدين
إذْ نحوَه قد صرَّفُوا القُلوبا* فأفعموا مَنْ سره الجيوبا

* **فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي**: تأليف عبد الله بن فوديو. يقع في مئتين وخمسة عشر بيتا (215) في علم العروض والقافية.

- **الحصن الرصين** للشيخ عبد الله بن فوديو، كتاب منظوم في فن الصرف العربي و يقع الكتاب في ألف بيت. 1216هـ.
- "**تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات**" ديوان شعر، تأليف عبد الله بن فوديو.
- **إفادة الطالبين** ديوان شعر الشيخ محمد بللو.
- **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**. لمحمد بللو. وهذا الكتاب يمس جانب التاريخ أكثر، لكن فيه نصوص أدبية أيضا وجوانب أخرى تبين العصور الأدبية للنهضة الإنتاجية في عصر حركة الإصلاح والتجديد الفودوي.

تعريب الأشعار الأدبية الهوسية

كان علماء هوسا أدباء في لغاتهم المحلية قبل أن يكونوا أدباء في اللغة العربيةٌ فقد نظموا أشعارا في لغاتهم، فعرب بعض طلاب هؤلاء العلماء بعض إنتاجاتهم إلى العربية شعرا . فتجد أحدهم يقوم بتعريب إنتاج منثور أو منظوم أصله في اللغة المحلية –الهوسا أو الفلانية– وهذا من مظاهر مساهمات نهضة اللغة العربية، إذ هو إضافة إنتاج علمي وأدبي منظوم أو منثور إلى اللغة. فقد عرب مَالَمْ عيسى مَيْ كُوْرِي و السيدة أسماء بعض قصائد والديهما الشيخ عثمان بن فودي، و عرب الوزير جنيد بن محمد البخاري بعض قصائد السيدة أسماء بنت ابن فودي إلى العربية. ومن ذلك؛ تعريب الشيخ عبد القادر بن مصطفى لقصيدة أسماء بنت الشيخ عثمان التي نظمتها باللغة الفلانية. فقال:

أَحْكِي به ما نَظَّمَتْ أسماء * بعجمية لها إملا
كريمة الصفات أم الكُرَما * كانت بحكم الوقت فيما عُلِما
هُناك فاح طيبُها في النُّجُبَا * وعَدَّها أهلُ النهى في النقبا

اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية و لغة الثقافة في البلاد:

اتخذمت اللغة العربية لغة رسمية في بلاد الهوسا شمال نيجيريا وما جاورها. (هسكيت 1957/577)[12] قبل الاستعمار وبعده. حيث تكتب بها السجلات الحكومية وتقارير الدواوين. كما أن بها تسجل تقارير الأقضية في المحكم الشرعية. "وتظهر رسمية اللغة العربية في بلاد الهوسا، إذ كانت هي اللغة المستخدمة في تدوين رسائل الملوك والأمراء، وبها تكتب تقارير المحاكم الشرعية وأقضيتها". (دياب 1981/79) ومن قوة نفوذ رسمية اللغة العربية في كون الحكومة تصدر جريدة باللغة العربية تسمى (جريدة النيجيرية الشمالية) صدر العدد الرابع بتاريخ 1932/10/31م[13]

و باللغة العربية يتم إجراء كثير من المراسلات الاجتماعية. و بجانب أنه يستخدمها الملوك والأمراء في المراسلات والمكاتبات، كانت هي اللغة التي تمت بها المراسلات الدعوية التي يبعث بها الدعاة إلى أمراء إمارات بلاد نيجيريا وما جاورها. (أبوبكر 1960/475). وقد ضم كتاب محمد بِيلُّوْ إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، نماذج من هذه الرسائل التي تداولت في مختلف المناسبات، و كذلك كتاب الثقافة العربية في نيجيريا للدكتور علي أبوبكر.(1972)

توفير المادة العلمية العربية للباحثين المحدثين:

هذا النوع من المساهمة له دور كبير في حفظ اللغة العربية و نشر تراثها. و هو أن العلماء قد ورّثوا ثروة إنتاجية علمية كثيرة من المخطوطات و الكتب النادرة. كانت هذه الانتاجات هي المواد الغالية من مقتنيات المتاحف العالمية في مختلف الدول. فكانت بعض الكتابات العربية لبعض علماء هوسا موجودة بكثرة في متحف برلين (ألمانيا) و في مكتبة SOAS[14]. وهي المواد الخام المستخدمة لدى الباحثين في مراكز البحوث الإقليمية في قارة إفريقيا مثل مركز أحمد باب بتمبكتو في جمهورية مالي، وكذا في مركز البحوث CELTHOA بجمهورية النيجر. وكذا مراكز البحث الوطنية مثل مركز بحث Arewa House والمتحف الوطني في مدينة جُوْسْ نيجيريا.

كما كانت مآت هذه المخطوطات هي المادة العلمية الجاهزة لإجراء البحوث الأكاديمية و الدراسات العلمية في المرحلة الجامعية أو مراحل الدراسات العليا في مختلف الجامعات النيجيرية وبعض جامعات الدول العربية و الأوربية و الآسيوية، في تخصص اللغة العربية و ما يتصل بها في منطقة الهوسا وما جاورها وغير ذلك. فقد أجريت بحوث تحقيق مخطوطات، أو التعليقات عليها شرحها, أو جمع مفترق إنتاجات مؤلف في ليصير كتابا، والأمثلة على ذلك كثيرة، يشهد عليها مقتنيات مكتبات أقسام اللغة العربية بعشرات الجامعات النيجيريا[15]. ومن هذه الدراسات و البحوث المنشورة بعد الدراس أو التعليق أو التحقيق:

= إحياء السنة وإخماد البدعة للشيخ عثمان بن فوديون، مطبعة الحسيني القاهرة (1962م)

= إنفاق الميوسور في تاريخ بلاد التكرور، للشيخ محمد بيللو بن عثمان فوديو القاهرة 1964

= الحصن الرصين في الصرف، تحقيق الدكتور صالح حسين، جامعة بايرو ط 2 دار الأمة

= البحر المحيط، دراسة و تحقيق وتعليق الدكتور محمد الثاني خامس في رسالته للدكتور بقسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو سنة:- 1997م

= تزيين الورقات (أدب) تحقيق الباحث هسكيت (مطبغة إبادن 1962 نيجيريا

= النفحات العنبرية بشرح العشرينيات (تحقيق الدكتور يحي إمام سليمان، جامعة بايرو 2007م

= أسماء بنت عثمان بن فوديو و إنتاجاتها العربية، للدكتور محمد الرابع أول سعد، 2010م

إيجاد مادة دراسية في الأدب العربي:

من المساهمات العلمية و الأدبية التي قام بها علماء بلاد الهوسا للغة العربية، ما يوجد في مقررات أقسام اللغة العربية بالجامعات النيجيرية وغيرها بصفة مادة دراسية جديدة في دراسة الأدب العربي والتي تسمى؛ الأدب العربي النيجيري، و البعض يسمونه بتسميات أخرى. يقول الدكتور عيسى: وقد بلغت الكتابة العربية أوج مجدها في العصر الفلانى الذى أدى فيه الشيخ عثمان بن فودى وأخوه عبد الله وابنه محمد بلّو أدوارا ملموسة في النهضة العلمية والأدبية، وذلك بين القرن الثانى عشر إلى منتصف الرابع عشر الهجرى، فكانت العربية لغة رسمية تستخدم في الدوائر

الحكومية والأمور القضائية، وقد شهد هذا العصر إنتاجات شعرية ونثرية قيمة تعبر عن مستوى هؤلاء العلماء العلمى والأدبي والثقافي[16]

ويتميز الانتاج الأدبي في بلاد الهوسا و ما جاورها بأنه أدب إسلامي، ذلك أنه لم يكن للمنطقة أدباء في اللغة العربية غير علماء الدين المتمسكين، و الذين تأثروا بتعاليم الإسلام. و مع ذلك فقد تطرقوا إلى قرض الأشعار في كل الأغراض التي نظم فيها العرب أشعارهم، خاصة الشعراء الجاهلية الذين تأثروا بهم أكثر وأكثر. ومن نموذج هذا الانتاج ما يلي:

قال محمد البخاري بن الشيخ عثمان فودي يمدح عمه عبد الله فودي وافتتح القصيدة بأسلوب يناقض الأسلوب الجاهلي في بدإ القصيدة بالغزل، فافتتحها بالزهد:

ولقد وَقَفْتُ بِرَسْمِها مستخبرا * عَنْ أَهْلِها والدمْع مِنِيِّ سائل

لله دَرّك هل وُقوفك نافع * بِرسُومِها أمْ هل لدمعِك طائل

فَدَعِ الدِّيار وذِكرَ أخدان الهَوى * وخرائدَ في مشيها تتمايل

ويُرى في أبياته أنه بدل أن يواصل فيتغزل بمحبوبته إذا به يتزهد؛ ليعلن عدم التقليد المطلق أدباء الجاهلية، ويدعو إلى منهج جديد في الأدب الإسلامي فيقول:

واسْلك طريقَ أُولي الهداية واغتنِمْ * فرَصًا تمر وأنت منها غافل

وازهد عن الدنيا فإن نعيمَها * أضغاث أحلامٍ وظل زائل

وابغ السيادة بالعلوم فما استوى * في المجد ذو علم وَمَنْ هو جَاهل

واصرف بقايا العُمْر في تحصيله * فالعلم أفضل ما حَوَاهُ الآمِل

ثم شرع في الغرض؛ المدح:

ولقد حباك الدهر شيخا ما له * في العلم في تلك الأراضي ماثِل

أعني إمام العصر عبد الله مَنْ * ساد الشيوخ النُّبْلَ مُذْ هو سابل

ذو شدة في دينه متواضع* ذو هيبة بر أمين كافل

علّامة القرآن حاوي السبق في * علم الحديث وفي البلاغة كافل

و في الحماسة وتسجيل وقائع جهاد الإصلاح، قال محمد بللو بن فوديو الأبيات الآتية وذلك سنة: 1804م

ألا بلّغنْ عني وإن كُنْتُ نائِيًا * ولاةً يَرُوح الجورُ منهم ويَرْجعُ
فإنْ تَنْتهوا عن غيِّكم قد رَشِدتم * وإلا فَحربٌ بيننا مُتَوقَّع
وإن نحن أُوذِينا نَفِرُّ بديننا * إلى الله إنَّ الأمرَ لله راجع [9]

وقالت السيدة أسماء بنت بن فودي في الرثاء:

أ عيناي جودا وابكيا لي حبيبتي * وسلوة أحزاني وأنس الوحشتي
فجودا بسكب الدمع مع فقد عائشة * كريمة أحبابي لدي صديقتي
وأثني عليها بالمساحة والحيا * ودين وأخلاق حسان رضية

وكم آنستني من توحش خاطري* وكم خدمت عندي بأحسن خدمة
فيا طول حزني بعدها وتفردي * وكثرة أشجاني ويا طول وحشتي
ألم تعلموا أن المحبة لم تكن * ليعدلها شيء إذا ما ستقرت
ولا ولد يسلي المحب ولا أخ * ولا مسكن زاه ولا جمع قنية[17]

اقتراض الكلمات العربية في اللغة المحلية:

قد استعير مئات العشرات من الكلمات العربية في لغة الهوسا عن طريق التهويس (اقتراض الكلمة إلى لغة الهوسا)، واستخدمها الهوسويون كما تستخدمها العرب في الدلالة المعنوية. وفي بعضها استخدموها بنوع من التحريف البسيط في النطق. وهو اقتراض متعدد الأنواع منه مفرداتي[18] و جملة تامة أو عبارة شبه جلة. ومن الأمثلة القليلة ما يلي:

اللغة العربية	الهوسا
بيت	بيت
بحر بسيط	بحرِ بسيطِ
عين	أينٌ
فقير	فقيري

تجارة	تجارا
مسكين	مسكين
فاسق	فاسق
هَيْبَة	هَيْبَا
كيمياء	كِيمِيّا
مسألة	مَسْأَلا
وزير	وزيري
رتّب	رتّب
يوم	يَوْ
عيال	إِيالِي
العير	آيَرِي
الوالي	والِي
موت	مُتُوَا
روح	رَيْ
العافية	لافِيَا
رجْم	رَجَمُ
سطر	سَطَرَا
سفر	سَفَرَا
ركعة	رَكَعَا
الرِّبَاط	رِباطِي
ذنْب	ذنُبِي
ذريعة	ذُرِعَا / ذُرِيا

فهذا الاقتراض نوع من الاستخدام اللغوي المتسع من اللغة الأصل إلى المستعار إليها.

- **تهويس بعض العبارات العربية :**

قد تم هذا النوع من الاقتراض (التهويس) واستخدمها الهوسا بالمدلول الذي يستخدمه العرب لفظا ومعنى في غالبها، وبنوع من التحريف البسيط في نطق بعضها وقليل منها كالتالي:

العبارة العربية	العبارة ومعناها في الهوسا
بسم الله	بسم الله
جهادٌ في سبيل الله	جَهادي في سبيل الله
أعوذ بالله	أعوذ بالله
كل يوم	كل يوم
الجنون فنون	الجنون فنون /الجنون هنون
قيل و قال	قيل وقال (شيء غير ثابت)
قالوا بلى	قـــالوا بلـــي (Kalu-bale)
قول بلا عمل	قول بلا عملٍ

دور بعض الحركات في نهضة اللغة العربية:

كانت حركة الإصلاح الاجتماعي والتجديد الديني التي قادها الشيخ عثمان فودي أكبر الحركات العلمية التي ساهمت في نشر اللغة العربية و في نهضتها. ولكن لم تكن هي الحركة الوحيدة في ذلك، إذ وجدت مساهمات حركات قادها العلماء في منطقة بلاد الهوسا وما جاورها في (غربي إفريقيا حديثا). بل سبقتها محاولات عديدة من قبل حاملي ألوية العلم والدعوة في مثل جامع سَنْكُورِي، بتمبكتو. وحركة علماء يَنْدُوْتُوْ Yandoto' في منطقة ذَمْفَرَا، منطقة باغَرْمِي Bagarmi، وكُلُمْ فَرْدُ Kulum-Fardu وغيرها من الحركات التي قادها العلماء. أمثال عبد الله الثقة، والشيخ الطاهر فَيْرَمَّ، والشيخ جبريل بن عمر الذي ربّى الشيخ عثمان وبعض إخوانه. وحركة العلماء في دولة كَانِمْ بَرْنُوْ وغيرها.

فقد أنتجت حركة علماء بلاد الهوسا ما يربو على عشرات المئات من المؤلفات باللغة العربية حسب الإطلاع المحدود للباحث، ما بين كتب في مجلدات ورسائل و دواوين. وهذه إضافة علمية كبيرة إلى المكتبة العربية، لا تقل أهمية بالمقارنة لما لباقي دول العالم الإسلامي من الإنتاجات المعرفية. ولم أنو الخوض في نهضة اللغة العربية بمساهمات المحدثين، فهو عنوان يحتاج إلى بحث كامل ولكن أكتفي باقتابس ما ذكره الدكتور عيسى أبوبكر أَلَبِي:

"الشيخ آدم عبد الله الإلوري. ومن الأسماء اللامعة في تقديم عجلة اللغة العربية إلى الأمام الشيخ محمد ناصر كبرا في كنو، والوزير جنيد بن غطاط في صكتو، والشيخ إبراهيم صالح في ميدغوري صاحب التآليف العديدة، ومن الأكاديميين الدكتور على أبوبكر صاحب كتاب (الثقافة العربية في نيجيريا) في بوشي، والدكتور شيخو سعيد غلادنث صاحب (حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا) والشيخ مصطفى السنوسى صاحب اللسان القوال والقلم السيّال في لاغوس، وينضم إلى هؤلاء العلماء أساتذة الجامعات والكليات التى فيها أقسام اللغة العربية لما ينشرونه من مقالات ودراسات في مجالات تخصصهم وما يقومون به من جهود للإشراف على البحوث العلمية الجامعية بمراحلها ومستوياته[19]".

الخاتمة:

بالنظر إلى ما تطرق إليه هذا المقال، يدرك أن علماء بلاد منطقة هوسا بإفريقيا الغربية قد ساهموا في الحفاظ على اللغة العربية و صيانتها في مختلف الجوانب و نشرها. و النماذج التي ذكرت تدل على بعض جوانب المساهمة التي لم تذكر، مثل المكتبات الشخصية والحكومية، ودورهم في كتابة اللغة الهوسا بالحرف العربي[20]، و توطيد التواصل العلمي الفردي بين علماء هوسا وعلماء مختلف المناطق العربية التي بلورت لتصل إلى العلاقات الثقافية –لكنها محدودة– بين مختلف الجامعات الإفريقيا الحديثة و الجامعات في الدول العربية وغيرها. و عليه ينبغي تحسين ربط العلاقات العلمية والثقافية بين الدول العربية وجامعاتها الأكاديمية و المؤسسات العاملة وفي نشر اللغة العربية وحفظها، مع أقسام اللغة العربية في الجامعات الإفريقية التي تكافح جهود الاستعمار وتهميش اللغة العربية و محاربتها من قبل الاستعمار اللغوي الحديث.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وصلى الله على من لا نبي بعده.

الهوامش

[1] *M. Adamu The Hausa Factor In West African History p*3 A. B. U. & Oxford Uni. Press

[2] علي أبوبكر (الدكتور): الثقافة العربية في نيجيريا. ص 85 ط مؤسسة عبد الحفيظ البساط، بيروت

[3] أحمد سعيد غلادنثي(دكتور): حركة اللغة العربية و آدابها في نيجيريا ص 16 ط 2 العبيكان 1993م

[4] محمد الرابع سعد: أسماء بنت الشيخ عثمان فودي و إنتاجاتها العربية ص 2010

[5] السابق: ص 60

[6] جحاجح: سادات

[7] عبد الله بن فودي: تزيين الورفات بجمع بعض ما لي من الأبيات ؛

[8] حركة اللغة العربية و آدابها في نيجيريا، ص 69

[9] كتاب في تاريخ أدب الهوسا: Ibrahim Y. Y. Prof. Hausa A Rubuce, 11, Zaria 1988

[10] أسماء بنت الشيخ عثمان فودي و إنتاجاتها العربية ص 24 فتفعيلات هذا الشعر هي (فاعلن فعولن) في كل شطر، وهذا مما لا يدخل في بحور الشعر العربي المعروفة، لكنه اختراع يناسب تطور اللغة.

[11] (Mrs.) Jean Boyd; The works of Nana Asma'u, (Tarihi P. 21), Bulletin of Sokoto State History Bureau, Vol. I, No. 2, 1982

[12] M. Hisket: The Arabic verses of the Fulani Authors. P577 Bulletin of SOAS Vol.19-1957

[13] Ibrahim Y. Y. Prof. Hausa A Rubuce, 150, Zaria 1988

[14] راجع الدراسات مثل:

M. Hisket. & Biray, A. D. H. (A) The Arabic Literature of Nigeria to 1804 (SOAS).

(B) Arabic Documents of Northern Nigeria (SOAS) 22, 1959.

M. Hisket, Material relating to the State of learning among the Fulani between their Jihad, Bulletin of (SOAS) 19, 1957

[15] مثل أقسام اللغة العربية في الجامعات النيجيرية: جامعة إبادن، جامعة أحمد بِيلُّو زَارِيا، جامعة بايرو كنو، جامعة عثمان طَنْ فُوْدِيُوْ، جامعة مَيْدُغُرِي، جامعة جوس، جامعة إلُوْرِنْ، جامعة ولاية كورا، جامعة كتسينا، جامعة الحكمة، جامعة أبوجا، جامعة عمر موسى يَرْأدُوَا، جامعة ولاية نَصَرَاوَا، جامعة ولاية كَدُونَا، أكاديمية الدفاع نيجيرا، وغيرها، يوجد بهذه الجامعات أقسام اللغة العربية و أجريت بحوث و دراسات حول الانتاجات العربية بنيديريا.

[16] د. عيسى ألبي أبوبكر اللغة العربية وآدابها في نيجيريا آفاق التطور والازدهار ص 2 (مقال)

[17] وفي المرجع السابق ص: 337 "قنوة" وكلاهما صحيح لغة، كما في مختار الصحاح، وينطق بضم الفاء أو بكسرها في كليهما.أنظر ص: 553، مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي. ط: الأولى 1967م. دار الكتاب العربي – بيروت.

[18] للزيادة و البحث يمكن مراجعة: علي أبوبكر (الدكتور): الثقافة العربية في نيجيريا، مصطفى حجازي السيد 1= الهوسا والعربية نظرات تقابلية، 2= أدب الهوسا الإسلامي،

[19] اللغة العربية وآدابها في نيجيريا آفاق التطور والازدهار ص 2 -4

[20] يقول الدكتور مصطفى حجازي السيد: "لغة الهوسا هي أقدم اللغات الإفريقية التي تكتب بالحروف العربية" (السيد 2000م) دخلت الكتابة العربية إلى نيجيريا بدخول الإسلام، وكان علماء هوسا، ويوربا، يكتبون لغتهم بالحروف العربية، ويسمونها "الكتابة الأعجمية".